

لطائف المعارف

ذكر فضل النبي صلى الله عليه وسلم من لدن آدم عليه السلام .
و قد روي : أن آدم عليه الصلاة والسلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وأن الله عز وجل قال لآدم : [لولا محمد ما خلقتك] و قد خرج الحاكم في صحيحه فيكون حينئذ من حين صور آدم طينا استخرج منه محمد صلى الله عليه وسلم و نبيه و أخذ منه الميثاق ثم أعيد إلى ظهر آدم حتى خرج في وقت خروجه الذي قدر الله خروجه فيه و يشهد لذلك ما روي [عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنت أول النبيين في الخلق و آخرهم في البعث] و في رواية : [أول الناس في الخلق] خرج ابن سعد و غيره و خرج الطبراني من رواية قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعا و المرسل أشبهه و في رواية عن قتادة مرسله : ثم تلا : { و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و إبراهيم و موسى و عيسى ابن مريم } فبدأ به قبل نوح الذي هو أول الرسل فمحمد صلى الله عليه وسلم أول الرسل خلقا و آخرهم بعثا فإنه استخرج من ظهر آدم لما صور و نبيه حينئذ و أخذ ميثاقه ثم أعيد إلى ظهره و لا يقال : فقد خلق آدم قبله لأن آدم حينئذ كان مواتا لا روح فيه و محمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخراج و نبيه و أخذ ميثاقه فهو أول النبيين خلقا و آخرهم بعثا فهو خاتم النبيين باعتبار أن زمانه تأخر عنهم فهو : المقفى و العاقب الذي جاء عقب الأنبياء و يقفونهم قال تعالى : { ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين } و في الصحيحين [عن جابر B عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثلي و مثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها و أحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها و يعجبون منها و يقولون لولا موضع اللبنة [زاد مسلم قال : فجئت فختمت الأنبياء] و فيهما أيضا [عن أبي هريرة B عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه و فيه : فجعل الناس يطوفون به و يقولون : هلا وضعت اللبنة ؟ فأنا اللبنة و أنا خاتم النبيين] .
و قد استدل الإمام أحمد بحديث العرباض بن سارية هذا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل على التوحيد منذ نشأ و رد بذلك على من زعم غير ذلك بل قد يستدل بهذا الحديث على أنه صلى الله عليه وسلم ولد نبيا فإن نبوته وجبت له من حين أخذ الميثاق منه حين استخرج من صلب آدم فكان نبيا من حينئذ لكن كانت مدة خروجه إلى الدنيا متأخرة عن ذلك و ذلك لا يمنع كونه نبيا قبل خروجه كمن يولى ولاية و يؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته و إن كان تصرفه يتأخر إلى حين مجيء الوقت قال حنبل : قلت لأبي عبد الله صلى الله عليه وسلم : من زعم أن النبي كان على دين قومه قبل أن يبعث ؟ قال : هذا قول

سوء ينبغي لصاحب هذه المقالة أن يحذر كلامه و لا يجالس قلت له : إن جارنا الناقد أبا العباس يقول هذه المقالة ؟ قال : قاتله اﷺ و أي شيء أبقى إذا زعم أن النبي صلى اﷺ عليه و سلم كان على دين قومه و هم يعبدون الأصنام قال اﷺ تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام : { و مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد } قلت له : و زعم أن خديجة كانت على ذلك حين تزوجها النبي صلى اﷺ عليه و سلم في الجاهلية قال : أما خديجة فلا أقول شيئا قد كانت أول من آمن به من النساء ثم قال : ماذا يحدث الناس من الكلام ! ! هؤلاء أصحاب الكلام لم يفلح - سبحان اﷺ - لهذا القول و احتج في ذلك بكلام لم أحفظه